البلاغة القرآنية في سورة الغاشية

آيات النعيم والعذاب الأخروي نموذجاً

دكتوره

لمياء محمد حمود المطرفي

كلية اللغة العربية ـ قسم البلاغة والنقد

جامعة أم القرى

ملخص البحث:

لا شَكّ أنّ هُناك تَرابُطا وتَلاقِياً بَين مُخْتَلَف العُلُوم، وعَلَى رَأْسِهَا عِلْمَا البَلاغة والتّفْسِير، فَكَم أَفَاد الْمُفَسّرون مِن مُعْطَيات عِلْمِ البَلاَغَة سَعياً إِلَى فَهْم كِتَاب الله تَعَالى الْمُعْجِز بِبَلاغَتِه، وَكَمْ أَفَاد عُلَمَاء البَلاَغَة مِنَ الفِكْر البَلاَغِيّ وَالتَّحْلِيل البَيَانِيّ لِلمُفَسِّرِين، وغاية هذا البحث الكشف عن ما في آيات النعيم والعذاب من الأساليب البلاغية والكشف عن أسرارها، وقد توصل البحث إلى تنوع الأساليب في آيات النعيم قياساً بآيات العذاب، إلى جانب التمايز بين الفريقين والتي تضع كل من يتأمل في أشرف الكتب أن يختار الطريق الذي يريد..

Research Summary:

There is no doubt that there is a correlation and especially the ،convergence between the various sciences how the ،science of rhetoric and interpretation interpreters reported the data of the science of rhetoric in the miracle of his ،order to understand the book of God and how the scholars of rhetoric of ،communication ،rhetorical thought and graphic analysis of the interpreters Verses of bliss and torment of rhetorical methods and and the research has reached a ،disclosure of secrets variety of methods in the verses of bliss compared to the as well as the distinction between the ،verses of torment which puts all of the Consider bookshelf to ،two groups ..choose the path he wants

مقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ضمنه سبحانه أبلغ الكلام وأحسنه تفسيرًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد، ليس للتحريف يد عليه فلا نقصان منه ولا مزيد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم معين صافٍ لا ينضب، ونور ساطع لا يحجب، ما ورده صادٍ إلا صدر عنه ريان، ولا ثوّره مبتغٍ حكمةً إلا عاد ملآن، فيه نبأ الأولين، وخبر من يأتي إلى يوم الدين، لا يخلق على كثرة الترداد، بل متدبره على الدوام في ازدياد.

ينابيع حكَمِه-على امتداد الدهر-تجري، وأيادي بدائعه للسائلين تقري، كم ترك الأول فيه للآخر، وربما عجز المقيم عما تيسر للعابر، وذلك فضل الله فهو على ما يشاء قادر.

وقد كان الفضل للمفسرين في الكشف عن أسرار القرآن الكريم كبيرًا، فقد أبانوا عن الجادة، وعبدوا الطريق للمارة، وما تركوا فنًا ينسب للقرآن إلا فجروا ينبوعه، وعمروا ربوعه، فجزاهم الله عنا خير ما جزى متبوعًا عمن تبعه.

وإن أولى ما أنفقت فيه الساعات، وتحملت فيه المكروهات، كتاب الله تعالى، بالبحث في عجائبه، والفتش عن كنوزه وفوائده، وإن بلاغة القرآن لا تدانيها بلاغة، لا جرم ولى الفضلاء شطره يستمدونها من رياضه، ونصبوا خيام أفكارهم على واحاته وحياضه، فمستقل ومستكثر، والله المانّ المتفضل.

وقد سمت همتي للبحث في وجوه بلاغة سورة الغاشية، واخترتها لأنّ بها حدائق ذات بهجة تسعد الناظر، ولأنها والأعلى في العيد والجمعة قرينان، ومما حوته هذه السورة من المقاصد العظيمة:

" تأكيدُها على القضايا الكبرى في حياةِ البشر، والمنهج الصحيح في الدنيا، والمصير في الآخرة، وهي قضايا ضَلَّتْ فيها البشريةُ ضلالاً مبينًا، لا يعرفه إلا من قرأ في كُتُبِ الضالين، وعَرَفَ كيف ضَلَّ سعيُهم في الحياةِ الدنيا، وكيف هدانا اللهُ بهذا القرآنِ العظيم، و قد عظم وظيفة التذكير بقوله –سبحانه: {فَذَكِّر إِنَّما أنت مُذَكِّر. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية: ٢١-٢٢]، فكأنَّ رسالةَ النبيّ –صلى الله عليه وسلم –مقصورةٌ على التذكير؛ لبيان أهميةِ التذكيرِ وتَكرارِهِ على مسامِعِنا، وتَكْرَارُ التذكيرِ بمشتقاتِه وصِيَغِه في هذه السورِ، له دلالتُه، حيثُ إنّ التذكيرَ يلزمُ منه التَكرارُ مرةً بعدَ مرة، وهذا يتناسبُ مع الأمرِ بقراءتِها كلِّ جمعةٍ في مواضعِها المعروفة) "[1].

إلى جانب أسباب أخرى دفعتني لاختيار الموضوع، كان من أهمها:

– تكرار النظر في الأساليب البلاغية القرآنية؛ للوصول إلى ما تفيده من معانٍ بديعة وأغراض.

– الرغبة في معرفة صور النعيم والعذاب في السورة، وكيف عبر القرآن عنها، مرهبًا تارة، ومرغبًا أخرى.

– تدبر آيات القران الكريم بغية نيل الأجر.

---

(١)) انظر: موقع طريق الإسلام، بعنوان (من أسرار قراءة بعض السور يوم الجمعة) للدكتور: عبدالرحمن بن معاضة الشهري

الدراسات السابقة:

لم أعثر –في حدود اطلاعي – على دراسة سابقة لهذا الموضوع، سوى دراسة بعنوان (آيات النعيم الأخروي في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية)، رسالة أكاديمية مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للباحث: خالد بن محد إبراهيم العثيم، إشراف الدكتور: وليد قصاب، ١٤٢٨-١٤٢٩، تحدث فيها الباحث عن معنى النعيم، وتناول آياته ومجالاته، وقسم البحث على النحو التالي:

الفصل الأول؛ وتحدث فيه عن اللفظ المفرد في سياق آيات النعيم، وضمنه ستة مباحث منها: الإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، التنكير والتعريف، الجرس والإيقاع، والفصل الثاني خصصه للجملة في سياقات آيات النعيم؛ تناول الجملة الإسمية، والفعلية، والخبرية، والإنشائية، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإثبات والنفي، والقصر، وفي الفصل الثالث تحدث عن الجمل في سياق آيات النعيم؛ تناول فيه الفصل والوصل، والجمل الحالية، والإيجاز والإطناب، والفصل الرابع؛ التصوير البياني في آيات سياق النعيم، وقسمها للتصوير بالمجاز، والكناية، والتشبيه، والاختلاف بين هذه الدراسة وبين موضوع الباحثة اختلاف بيّن – كما ظهر من خلال العرض السابق–.

المنهج:

اتبعت في هذا البحث منهج الاستقراء للآيات، والتحليل؛ من خلال الأساليب البلاغية التي وردت في آيات النعيم والعذاب في السورة، وتقسيمها حسب خطة البحث.

خطة البحث

جاء البحث في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، تقفوها خاتمة.

واشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

فالتمهيد: بين يدي السورة الكريمة

أما أقسام الدراسة فقد جاءت على النحو التالي:

المطلب الأول: طرائق النظم في آيات النعيم والعذاب، وتحته مباحث:

الأول: التقديم والتأخير.

الثاني: التعريف والتنكير.

الثالث: الروابط الخفية بين الجمل.

الرابع: القصر.

الخامس: أسلوب الاستفهام.

المطلب الثاني: صور البيان في آيات النعيم والعذاب، وتحته مباحث:

أولًا: المجاز.

ثانيًا: الكناية.

المطلب الثالث: ألوان البديع في آيات النعيم والعذاب، وتحته مبحثان:

أولًا: المقابلة.

ثانيا: الجناس.

ثم الخاتمة، رصدت فيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

ثم الفهارس العلمية المعهودة.

وبعد فهذا جهد المقل، واسأل الله –سبحانه– أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

تمهيد

بين يدي السورة الكريمة:

المعنى اللغوي للفظ الغاشية: "الغاشية: اسم فاعل مشتق من الغشيان، وهو تغطية الشيء لغيره، يقال: غشيه الأمر: إذا غطاه، والمقصود بالغاشية: يوم القيامة، ووصف يوم القيامة بذلك؛ لأنه يغشى الناس بأهواله وشدائده، ويغطى عقولهم عن التفكير في أي شيء سواه" (١)

التعريف بالسورة:

سورة الغاشية سورة مكية، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، وعدد آياتها: ست وعشرون آية، وهي السورة الثامنة والثمانون في ترتيب المصحف، وتقع في الجزء الثلاثين من ترتيب المصحف الكريم، والحزب الستين، والربع الخامس.

وقد وردت أحاديث عدة عن مشروعية قراءتها في صلاة الجمعة والعيدين، منها ما رواه مسلم في الصحيحين " عن حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ (سبح

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د محمد سيد طنطاوي، ص٤٩٢٩ مطبعة دار السعادة الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٩٧م، وانظر معه: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين ص ٤٢٥، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، هـ – ١٩٧٩م.

اسم ربك لأعلى) سورة الأعلى ١، و(هل أتاك حديث الغاشية)سورة الغاشية ١"[١].

مقصود السورة:

"شرح ما في آخر(سبح) من تنزيه الله-سبحانه وتعالى -عن العبث؛ بإثبات الدار الآخرة؛ التي الغاشية مبدؤها، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى، والدلالة على القدرة عليها، وأدل ما فيها على هذا المقصود؛ الغاشية -نعوذ بالله من القلب العاشي، والبصيرة العاشية؛ لئلا تكون الغاشية علينا بسوء الأعمال". [٢]

---

[١]) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة ١٤٢٦-٢٠٠٦، ط١، دار طيبة، م١/٣٨٩/كتاب الجمعة

[٢]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي، مكتبة الفيصلية ١/٣٠

المطلب الأول: طرائق النظم في آيات النعيم والعذاب

أولًا: التقديم والتأخير:

عند الحديث عن التقديم والتأخير تتبادر إلى الذهن عبارة شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني، يقول: " باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ [١]لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان "[٢].

وهذا يدل على أهمية التقديم والتأخير، ومدى تأثيره في الكلام متى حسُن استخدامه، وقد اهتم البلاغيون بالبحث عن كثير من القضايا المتصلة بالتقديم والتأخير، كما أشاروا إلى الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير كالتشويق وإرادة تعجيل المقصود والتأكيد وتقوية الحكم والتخصيص وغيرها، مما له صلة بالمقام والسياق. [٣]

ومن مواضع التقديم في الآيات، ما ورد في سياق الحديث عن أهل العذاب: يقول تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾[٤]

---

[١]) يفترّ: يضحك. أساس البلاغة ٥٧٥/١.

[٢]) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مكتبة وهبة، ١٦٦

[٣]/ انظر: مفتاح العلوم ١٩٤، شروح التلخيص ٣٨٩/١-٤٤٧، المثل السائر ٢٣٩/٢، التبيان في البيان ١٧٢/١، البرهان في علوم القرآن ٣٠٣/٣.

[٤] /سورة الغاشية آية ٢

" والخشوع: من خشع، أصل يدل على التطامن، يقال: خشع: إذا تطامن، وطأطأ رأسه، وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في الصوت والبصر" [١].

أما (**خاشعة**) في الآية فمعناها: " ذليلة " [٢]

وقدم أصحاب الوجوه الخاشعة ليتناسب مع المقام، يقول البقاعي مفصحا عن سبب التقديم: " ولما هول أمرها بانباهها وعمومها، زاد في التهويل بما ذكر من أحوالها في تفصيل الناس إلى شقي وسعيد، وبدأ بالشقي؛ لأن المقام لإنذار المؤثرين للحياة الدنيا" [٣].

ويلتفت ابن عاشور إلى وجه آخر في التقديم وهو المناسبة لما افتتحت به السورة، ليكون داخلا في الغاشية وأهوالها، يقول: " حكاية أهل النار؛ لأنهُ أدخل في تهويل الغاشية، وتفخيم حديثها؛ ولأن حكاية حسن أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار، مما يزيد المحكي حسنًا ". [٤]

وقول ابن عاشور هذا يتناسب مع الجو الذي افتتحت به السورة.

ويرد التأخير في سياق الحديث عن عدم فائدة ما يتناوله أصحاب النار من الطعام، بل إنهم يأكلونه اضطرارًا ليسدوا به جوعهم، فلا يزيدهم إلا ألمًا على

---

[١])ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣١٦، ومعه مفردات غريب القران ١٤٨

[٢] الكشاف ٣٠/ ٥٥٨

[٣] /نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين بن أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢(١٤١٣هـ، ٣/٢٢

[٤] / تفسير أبو السعود ١٥١/٣٠

ألمهم.، يقول تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾[١]

ومعنى: " (ولا يغني) في الآية: يكفي كفاية مبتدئة (من جوع) فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال، والمقصود من الطعام أحد الأمرين "[٢]

وقدا جاء التأخير في الآية" لمراعاة الفواصل، والتوسل به إلى التصريح بنفي كلا الأمرين؛ إذ لو قُدم لما احتيج إل ذكر نفي الاسمين؛ ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع "[٣].

ثانيًا/ التنكير:

والنكرة بما تهبه لنا من مقاصد بلاغية كالإفراد والتعظيم والتفخيم والتكثير والتقليل وغيره، ومعان ذات دلالات إيحائية، إنما تفهم عادة من سياق الكلام، ويستعان على معرفتها بمعونة القرائن والمقام[٤].

والتنكير؛ من الأساليب التي إذا جاءت في القرآن الكريم فإنها غالبًا تفيد الكثرة، ومن مواضع التنكير في هذه السورة:

---

[١] /سورة الغاشية آية ٧

[٢] / نظم الدرر ٧/٢٢

[٣]) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٤٩/٣٠

[٤])انظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، دار الكتب العلمية، ١، /٢٤٨، ومعه البلاغة العربية علم المعاني، د/ وليد قصاب، دبي –دار القلم، ط١، ١٤١٩-١١٣

قوله تعالى: (وجوه يومئذ خاشعة)، وابتدأ بالنكرة (وجوه) والذي أفاد: التكثير، أي: كثيرة جدا [١]..

ومنه ما جاء في سياق الحديث عن صورة من صور النعيم في الجنة، يقول تعالى: **(فيها عين جارية)**

العين "

والجري: " المر السريع، وأصله كمر الماء، ولما يجري بجريه"[٢]

" والماء الجاري إذا كان من الينابيع، يكون في العادة باردًا صافيًا؛ لهذا وصف العين بالجارية؛ لما في منظر الماء الجاري من مسرة النفس، ما هو معلوم "[٣].

وقد جاءت (عين) نكرة للتكثير، فهي عيون لا عين واحدة، يقول أبو السعود " أيْ عيونٌ كثيرةٌ تجرِي مياهُها كقولِه تعالَى عَلِمَتْ نَفْسٌ ". [٤]

إذن أفادت النكرة في (وجوه) و(عين) التكثير.

ثالثًا/ أسلوب الاستفهام:

من الأساليب الإنشائية الطلبية، والتي حظيت باهتمام البلاغيين؛ نظرًا لما تحويه من أغراض بلاغية، وقد افتتحت السورة بالاستفهام، يقول تعالى: (هل أتاك حديث الغاشية)، وهذا الاستفهام ليس على حقيقته؛ لأنه صادر عن المولى سبحانه وتعالى، وسبحانه أن يخفى عليه شيء في الأرض أو في السماء، ثم إن

---

[١] / نظم الدرر ٣/٢٢

[٢])انظر: لسان العرب ١٤١/١٤، والراغب ٩٢

[٣]) تفسير جزء عم لمحمد عبده، مطبعة مصر، الجمعية الخيرية الإسلامية، ٢٩

[٤]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ٣٠/ ١٥٠٠.

مجيء (هل) في القرآن الكريم يفيد غالبا التشويق[١] لما بعدها، كالآية موضوع الدراسة، وهذا ما تنبّه إليه المفسرون، يقول أبو السعود الاستفهام: " أُريدَ به التعجيب مما في حيزه، والتشويق إلى استماعه، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناولها الرواة، ويتنافس في تلقيها الوعاة، من كل حاضر وباد" [٢]

ويضيف ابن عاشور أن الاستفهام في الآية صوريا، يقول[٣] و"كون الاستفهام بـ هل المفيدة معنى "قد" فيه مزيد تشويق، فهو استفهام صوري يكنى به عن أهمية الخبر، بحيث شأنه أن يكون بلغ السامع... ثم إن في الاستفهام كنايةً عن أهمية الخبر، وهو الحديث عن الغاشية ". [٤]

وقيل: إن الاستفهام للتقرير وتعظيم المستفهم عنه [٥].

والمرجح أن الاستفهام للتشويق حتى تتطلع النفس وتنجذب لمعرفة ما يحمله الاستفهام، فإذا جاء ما بعدها وقع من النفس خبر موقع وأحدث فيها ذلك

---

(٢) كما في أغلب سور القرآن الكريم.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، المتوفى عام ٩٨٢هـ، ص ١٤٨ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٨/.

٣)انظر: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ط٣، من منشورات: محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، صححه وضبطه: محمد عبد القاهر شاهين، ٦٧٥/٤ (٢)

(٤) التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) سماحة الاستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م، ٢٩٤/٣٠

(٢)انظر: حاشية زادة على تفسير البيضاوي٤/ ٦٥٢

الأثر المتوقّع، مع إفادته أيضا للتعجيب؛ لأن الحديث عن يوم القيامة وأهوالها حريّ أن يتعجب منه.

وقال (أتى) ولم يقل (جاء)؛ لأن في أتى سهولة ويسر وتقال في الخير والشر، أما (جاء) فتحتاج إلى صلة ويتطلب مجيئها إلى شيء.

واختلف المفسرون [١]في دلالة (الغاشية): فذهب البعض إلى أنها القيامة، وقال آخرون: غاشية النار، والمرجح ما ذكره الطبري: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: (**هل أتاك حديث الغاشية**) لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولا أنه عنى غاشية النار، وكلتاهما غاشية، هذه تغشى الناس بالبلاء، والأهوال، والكروب، وهذه تغشى الكفار باللفح في الوجوه، والشواظ والنحاس، فلا قول في ذلك أصح من أن يقال كما قال جل ثناؤه، ويعم الخبر بذلك كما عمه [٢].

رابعًا: الروابط الخفية بين الجمل (مواضع الفصل)[٣]:

إن من أسرار البلاغة العلمَ بمواطن الفصل والوصل بين الجمل، وقد عدَّه البلاغيون من أهم موضوعات البلاغة.

---

(١)) منهم صاحب الكشاف ٥٥٨/٣٠، وصاحب إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٤٩/٣٠، وابن عاشور في التحرير والتنوير ٣٠٢/٣٠

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري، ط١، مؤسسة الرسالة ٢٦٥/٣٠

(٣)) واقتصرت على مواضع (الفصل)؛ لأني لم أجد مواضع للوصل في آيات العذاب والنعيم في هذه السورة.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة، تُستأنف واحدة منها بعد أخرى؛ من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتَّى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلَّص، وإلا قوم طُبِعوا على البلاغة، وأوتوا فنًّا من المعرفة في ذوق الكلام؛ هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها، فقال: معرفة الفصل من الوصل؛ ذاك لغموضه، ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ، إلا كمل لسائر معاني البلاغة"(١).

وقد عُرفت الروابط الظاهرة والخفية عند البلاغيين المتأخرين بالفصل والوصل، ويراد بالوصل: "عطف بعض الجمل على بعض"، وبالفصل: "تركه"(٢)، أي: ترك العطف.

وأنواع الفصل (الروابط الخفية)، هي: كمال الاتصال، شبه كمال الاتصال، شبه كمال الانقطاع(٣).

وقد استخدم القرآن الفصل بين جمل آيات النعيم والعذاب في هذه السورة الكريمة، والتي تظهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وسأقف عندها سعيا للوصول إلى شيء من أسرارها.

---

(١)دلائل الإعجاز للجرجاني ٢٢٢.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ٨٩.

(٣)انظر: البلاغة فنونها وأفنانها الدكتور فضل عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط٤، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ٤١٨.

فمن الفصل ما ورد في مستهل الحديث عن الآيات التي تناولت العذاب، يقول تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ**﴾، فالشاهد هنا الفصل بين (وجوه يومئذ خاشعة) وبين (هل أتاك حديث الغاشية)

وقد ذكر ابن عاشور أن هذه الآية فصلت عما قبلها لأنها: "استئنافٌ وقع جوابًا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقيّ، كأنَّه قيلَ: من جهتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ما أتانِي حديثُها فما هو؟ فقيلَ: (وجوهٌ يومئذٍ) أيْ يومَ إذْ غشيتْ ذليلةٌ ". (١)

إذن فبين الآيتين (شبه كمال اتصال) ويسمى (الاستئناف)، بحيث تنزّل الجملة الثانية منزلة الأولى باعتبارها جوابا عن سؤال يمكن أن يطرأ في ذهن المتلقي حين يسمع الجملة الأولى، فتكون الجملة الثانية جوابا لهذا السؤال، فيكون بذلك هذا الفصل مشعرا بمزيد ارتباط بين الجملتين، وله دوره كذلك في إثارة حسّ المتلقي لمعرفة ما بعده.

"وقد سماه عبد القاهر بالقطع والاستئناف، فالقطع مع نهاية كلام أحد الطرفين وهو الذي يثير السؤال، وحينئذ يعقبه الاستئناف الذي يكون بمنزلة الجواب وهو ضرب من الأسلوب يجذب المتلقي ويثير فضوله؛ لتحسن المتابعة والانجذاب إلى الحق والتعاطف مع دعاته والنفور من الباطل والاشمئزاز من أوليائه"(٢).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ٣٠/ ١٤٨

(٢) علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظيفية في قصص العرب، للدكتور / محمد بن إبراهيم شادي، دار اليقين – مصر، المنصورة، ط١(١٤٣٢-٢٠١١)، ص٢١٨

ومن الفصل ما ورد سياق الآيات التي صورت النعيم، يقول تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[١]، وفصلت هذه الجملة عما قبلها –الآيات التي تحدثت عن أصحاب العذاب–، ولم تعطف بالواو" للتنبيه على أن المقصود من الاستفهام في (**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**) الإعلام بحال المعرض بتهديدهم، وهم أصحاب الوجوه الخاشعة؛ فلما حصل ذلك الإعلام بجملة: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ**) إلى آخرها تم المقصود، فجاءت الجملة بعدها مفصولة؛ لأنها جعلت استئنافًا بيانيًا جوابًا عن سؤال مقدر تثيره الجملة السابقة، فيتساءل السامع: هل من حديث الغاشية ما هو مغاير لهذا الهول؟ أي ما هو أنس ونعيم لقوم آخرين، ولهذا النظم صارت هذه الجملة بمنزلة الاستطراد والتتميم، لإظهار الفرق بين حالي الفريقين، ولتعقيب النذارة بالبشارة، فموقع هذه الجملة المستأنفة موقع الاعتراض، ولا تنافي بين الاستئناف والاعتراض، وذلك موجب لفصلها عما قبلها ". [٢]

ويرد الفصل في موضع تعداد صور النعيم، يقول تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[٣] و"جملة (**لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً**) صفة ثانية لـ(**جنة**)، ترك عطفها على الصفة التي قبلها؛ لأن النعوت المتعددة يجوز أن تعطف ويجوز أن تفصل دون عطف، ثم ابتدئ في تعداد صفات الجنة بصفتها الذاتية، وهو كونها عالية، وثني

---

[١] /سورة الغاشية آية ١٧

[٢]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٩٨

[٣] /سورة الغاشية آية ١٧

بصفة تنزيهها عما يعد من نقائص مجامع الناس ومساكن الجماعات؛ وهو الغوغاء واللغو، وقد جردت هذه الجملة من أن تعطف على عالية؛ مراعاة لعدم التناسب بين المفردات والجمل، وذلك حقيق بعدم العطف؛ لأنه أشد من كمال الانقطاع في عطف الجمل، وهذا وصف للجنة بحسن سكانها". [١]

ومن مواضع الفصل أيضًا: ما جاء في سياق الحديث عن نعيم أهل الجنة، يقول تعالى: (فيها عين جارية) فلم تعطف هذه الجملة على ما قبلها – (لا تسمع فيها لاغية) –؛ " لاختلافهما بالفعلية في الأولى والاسمية في الثانية، وذلك الاختلاف من محسنات الفصل، ولأن جملة (**لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً**) مقصود منها التنزه عن النقائص، وجملة (**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ**) مقصود منها إثبات بعض محاسنها"[٢].

إذن الفصل في الآية للاختلاف في الاسمية والفعلية.

خامسًا: القصر

ذكر صاحب المفتاح: أن القصر ما هو إلا تأكيد للحكم على تأكيد، فهو بمنزلة تأكيدين[٣].

ولم يرد القصر في آيات العذاب والنعيم إلا بطريق (**النفي والاستثناء**):

---

[١]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠١

[٢]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠١

(١) المفتاح ١٤٠.

ويستعمل النفي والاستثناء في الأمور غير الواضحة التي يشك فيها المخاطب، أو ينكرها، لذا كثر في القرآن الرد على المنكرين بهذه الطريقة، يقول الجرجاني: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصًا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدًا "(١).

ومن القصر بالنفي والاستثناء ما ورد في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ**﴾

فالضريع هو" يبيس الشبرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبًا، فإذا يبس تحامته الإبل، وهو سم قاتل، فإن قلت: كيف قيل: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، قلت: العذاب ألوان، والمعذبون طبقات، ومنهم أكلة الضريع، والآية فيها: بيانٌ لطعامِهم إثرَ بيانِ شرابِهم، وقيل: الضريع اسم سمى القرآن به شجرًا في جهنم، وأن هذا الشجر هو الذي يسيل منه الغسلين الوارد في قوله تعالى (**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**)، وعليه فحرف (من) للابتداء، أي ليس لهم طعام إلا ما يخرج من الضريع والخارج هو الغسلين "(٢).

---

(١)دلائل الإعجاز ٣٣٢.

(٢)) الكشاف ٣٠/ ٥٩٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود٣٠/ ١٤٩ /، التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٩٧

"وتظهر براعة الأسلوب في القصر، هذا القصر المستفاد من قوله (**لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ**) وهو متضمن للنفي والاستفهام، فتنوعت الأساليب فيه، كما يظهر بُعد هذا القصر في سورة الحاقة مع قوله تعالى: (**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**) [١]"، قال المفسرون: إن المذبين في النار في دركات متفاوتة، ولكل قسم ما يستحقه من نوع عذاب أو طعام؛ فالضريع لبعض أهل النار، والزقوم والغسلين لآخرين حسب استحقاقهم ". [٢]

---

[١] الحاقة/٣٦

[٢])انظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ت٧٢٥هـ، ضبطه: عبدالسلام محمد شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٥–٢٠٠٤، ٢٢١/٤

المطلب الثاني: صور البيان في آيات النعيم والعذاب

أولًا / المجاز العقلي:

الأصل اللغوي لكلمة (مجاز) مأخوذ من: جزتُ الطريق، وجاز الموضع جوازًا، وجاز به، وجاوزه وأجاز غيره، وجازه: سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع: بمعنى جزته[١].

و**المجاز العقلي**: طريق من طرق التوسع في اللغة، و" يسمى مجازًا حكميا، ومجازًا في الإثبات، وإسنادًا مجازيًا؛ وهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابسٍ له غير ما هو له، أي غير الملابس لذلك الفعل، أو معناه له؛ يعني غير الفاعل في ما بُني للفاعل، وغير المفعول في ما بُني للمفعول؛ بتأول لمتعلق بإسناده" [٢].

والتجوز في المجاز العقلي في الإسناد، أي في النسبة بين المسند والمسند إليه، وكان للشيخ عبد القاهر الجرجاني رأيٌ في المجاز، والمجاز العقلي منه خاصة، يقول: "هذا الضرب المجازي على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة للشاعر المفلق [٣]، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعًا أو مصنوعًا، وأن يضعه بعيد المرام، قريبًا من الأفهام... "[٤].

---

(١) ينظر: اللسان، مادة (جوز).

(٢))التعريفات للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان-بيروت، ١٩٨٥، ٢١٥

(٣))

(٤) دلائل الإعجاز، ٢٩٥.

وقد ورد المجاز العقلي في سياق الحديث عن العذاب الأخروي في سورة الغاشية، يقول تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾[١]

فقيل إن (خاشعة) "من قبيل المجاز العقلي، أي أصحاب وجوه". [٢]

فقد أسند الخشوع للوجوه، والخشوع لأصحابها، وهو إسناد الشيء إلى غير ما هو له.

ومن صور المجاز ما ورد في سياق الحديث عن اكتمال نعيم أهل الجنة، حيث نفى عنهم سماع اللغو، والجدال، والكذب وغيرها من مكدرات صفو الحياة، يقول تعالى: ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾[٣]وقوله (لاغية) " أي لغوًا؛ فجعل اسم الفاعل وصفًا للكلام، واللغو: السقط، وما لايعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، وكلمة لاغية: فاحشة أو قبيحة، واللاغية واللواغي: بمعنى اللغو" [٤].

وهذا اللغو الذي نفى سماعهم له في الجنة، ورد صفة من صفات المؤمنين في الجنة يقول تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون)[٥]، فإذا كانت سمتهم في

---

(١) /سورة الغاشية آية ٢

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٩٥

(٣) /سورة الغاشية آية ١٧

(٤))ينظر: الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، -١٤٢٠هـ، ٣٣/٢، ومعه الراغب ٤٥١

(٥) المؤمنون آية ٣

الدنيا الانشغال بذكر الله وطاعته، والترفع عن اللغو والمهاترة، فإن حالهم في الجنة أسمى وأعلى "[١].

وقد أسند اللغو للكلمة وهو لصاحبها، وفي ذلك مجاز عقلي، يقول ابن عاشور: " ووصف الكلمة ب(لاغية) مجاز عقلي؛ لأن اللاغي صاحبها، ونفي سماع (**لَاغِيَةً**) مكنى به عن انتفاء اللغو في الجنة "[٢].

ثانيًا: الكناية:

"الكناية من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس بفن القول، وما من شك في أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع في النفس من التصريح، وإذا كان للكناية مزية على التصريح، فليست تلك المزية في المعنى المكنى عنه، وإنما في إثبات ذلك المعنى للذي ثبت له، فمعنى طول القامة، وكثرة القرى مثلًا لا يتغير بالكناية عنهما بطول النجاد، وكثرة رماد القدر، وإنما يتغير بإثبات شاهده ودليله، وما هو علم على وجوده، وذلك لا محالة يكون أثبت من إثبات المعنى نفسه "[٣].

والكناية لغة: من "كني: والكنية على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني: أن يكنى الرجل باسم توقيرًا وتعظيمًا،

---

[١])ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ت ٧١٠هـ، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨، ٣٥٢/٣

[٢]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠١(بتصرف قليل)

[٣]علم البيان للدكتور: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية –بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٢٢٣.

والثالث: أن تقوم الكنية مقام الاسم؛ فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه، كأبي لهب؛ اسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها "[١].

الكناية اصطلاحًا: " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك: فلان طويل النجاد، أي طويل القامة "[٢].

ومن صور الكناية التي تبرز صور العذاب والنعيم في السورة الكريمة:

ما ورد في سياق الحديث عن صفة وجوه أهل النار، يقول تعالى: (وجوه يومئذ خاشعة)، فالوجوه هنا: "كناية عن أصحابها، وحالة الوجوه تنبئ عن حالة أصحابها؛ إذ الوجوه عنوان عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة، كما يقال: خرج بوجه غير الذي دخل به " [٣].

ومنه ما ورد في سياق الحديث عن طعام أهل النار، يقول تعالى: (ليس لهم طعام إلا من ضريع)

فالضريع في الآية كناية، يقول البقاعي: " ويمكن أن يكون ذلك كناية عن أقبح العيش، ولا يراد به شيء بعينه – والله تعالى أعلم، قال الملوي: وسمي ضريعًا؛ لأن الإنسان يتضرع عند أكله من خشونته، ومرارته، ونتنه" [٤].

ويجوز الشهاب الخفاجي أن يكون الضريع مجازا أو كناية، يقول: " (الضريع) مجاز، أو كناية أريد به طعام مكروه حتى للإبل وغيرها من الحيوانات، التي تلتذ

(١)لسان العرب مادة (كني).

(٢)الإيضاح ٢٤٨.

(٣))التحرير والتنوير ٢٦٢/٣٠

(٤)) نظم الدرر ٣/٣٠

برعي الشوك، فلا ينافي كونه زقومًا أو غسلينًا " [١].

والمرجح أن ضريع كناية عن الطعام المكروه موافقة في ذلك لرأي المفسرين السابق.

وترد الكناية أيضا في سياق الحديث عن وجوه أهل الجنة، يقول تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ** ﴾، أي: "جرت عليهم نضرة النعيم؛ فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور "[٢].

وقيل: " (وجوه ناعمة) ذات بهجة، على أنه من النعومة، وكنى به عن حسن المنظر، أو هو من النعيم؛ فتكون بمعنى متنعمة "[٣].

ومن الكناية ما ورد في سياق نعيم أهل الجنة الذين رضوا بسعيهم، ونالوا ما وعد ربهم، يقول تعالى: ﴿ **لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** ﴾

والمراد بالسعي: "المشي الحثيث، وقد جُعل المشي بين الصفا والمروة سعيًا"[٤]، هذا من الناحية اللغوية، ثم إن الفعل (سعى) يستخدم بحسب تعبير القرآن واللغة في أمورٍ عدّة، منها: السعي في كسب الإنسان وعمله الذي يؤدي

---

[١]) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٣٥٣/٨، ومعه روح المعاني للألوسي ٦٥/٣٠

[٢]) تفسير السعدي ٩٢٢

[٣])حاشية الشهاب٣٥٣/٨

[٤]مفردات غريب القرآن (سعى).

إلى فلاحه في الآخرة[١]، وقد يكون السعي بمعنى الإصلاح بين الناس ورفع الأضرار، ومنه السعي بمعنى العزم على تحصيل الشيء[٢].

والمراد بالسعي في هذه الآية: "العمل الذي يسعاه المرء ليستفيد منه، وعبر به هنا مقابل قوله في ضده (**عاملة**)، والرضى: ضد السخط، أي هي حامدة ما سعته في الدنيا من العمل الذي هو امتثال ما أمر الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ". [٣]

وقيل: إن (راضية) إما كناية، أو مجاز عن أنه محمود العاقبة، مجازى عليه أعظم الجزاء" [٤].

ومن صور الكناية أيضًا ما ورد في تصوير نعيم أهل الجنة بقوله تعالى: (وأكواب موضوعة)، فالكوب هو الكوز الذي لا عروة له [٥]. ووصفت بأنها (موضوعة): "أي بين أيديهم؛ فالوضع ضد الرفع، يدل على الخفض للشيء وحطه " [٦].

---

[١]قال تعالى: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا..) (الإسراء: ١٩).

[٢]قال تعالى: (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى) (النازعات: ٢٢).

[٣]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٩٩

[٤]) انظر: حاشية الشهاب ٣٥٣/٨

[٥])انظر: لسان العرب ٧٩٢/١، الراغب٤٤٣

[٦])لسان العرب ٣٩٦/٨، مقاييس اللغة ١٠٩٤

يقول الزمخشري: "كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة، لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها، أو موضوعة على حافات العيون معدّة للشرب، ويجوز أن يراد: موضوعة عن حد الكبار، أوساط بين الصغر والكبر. [١]

و"كني بـ(**موضوعة**) عن عدم انقطاع لذة الشراب طعمًا ونشوة، (**موضوعة**) بما فيها من أشربة ". [٢]

فقد أجمع المفسرون على أن الأكواب وصفت بأنها موضوعة، ومهيأة للشرب والنعيم والتلذذ بها في أي وقت شاءوا، وكلما أرادوا، ويظهر هنا الفرق جليًا بين صورة أكواب وشراب أهل الجنة، وبين شراب وسقيا أهل النار في قوله تعالى: (يسقى من عين آنية)، فهناك يطلب الماء ليطفئ به لهيب العطش الذي لحقه نتيجة صليه للنار الحامية، ثم لا يجد إلا مايزيد هذا العطش لهيبًا، وحرارة وألمًا.

ومنها أيضًا ما ورد في سياق تصوير النعيم الحسي لأهل الجنة، وما فيها من سرر، وأرائك ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة؛ تريح الجالس، وتبعث في نفسه راحة وطمأنينة، وتسر الناظر إليها، يقول تعالى: (وزرابي مبثوثة) فالزرابي" جمع زُرْب، واحدها زريبة، وهي نوع من الثياب محبرة منسوبة إلى موضع، ثم استعيرت للبسط، فهي البسط الفاخرة " [٣].

---

[١] (الكشاف ٣٠/ ٥٥٩

[٢]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠٢

[٣])مفردات الراغب ٢١٢

ووصفت بأنها مبثوثة أي: " مبسوطة: وبثّ الشيء والخبر يبثه، فرقه فتفرق، وبثت البسط: إذا بسطت" [١].

ويتفق المفسرون على أن معنى (زرابي) "بسط عراض فاخرة ". [٢]

والمبثوثة: " المنتشرة على الأرض بكثرة، وذلك كناية عن الكثرة ". [٣]

فيظهر مما سبق أن الكناية من أكثر الأساليب التي وردت في آيات النعيم والعذاب، يليها المجاز العقلي، بينما لم أجد للتشبيه ولا للاستعارة أمثلة.

---

[١])لسان العرب ٢/١١٤، السمين الحلبي ١٠/٧٧٠

[٢]) ومنهم الزمخشري صاحب الكشاف٣٠/ ٥٥٩، وأبو السعود صاحب إرشاد العقل السليم لأبي السعود٣٠، /١٥٠، وابن عاشور صاحب التحرير والتنوير٣٠/ ٣٠٢

[٣]) التحرير والتنوير ص٣٠/٣٠٢

المطلب الثالث: ألوان البديع في آيات النعيم والعذاب:

أولًا: المقابلة

أصل المقابلة عند اللغويين: من قابل الشيء بالشيء، مقابلة وقبالًا: إذا عارضه، فإذا ضممت شيئًا إلى شيء قلت: قابلته به، والمقابلة: المواجهة، والتقابل: مثله [١].

وفي الاصطلاح: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب " [٢]

وهذا يدل على وظيفة المقابلة في ترابط الكلام بعضه ببعض، عن طريق علاقة الضد، وبذلك فهي تثير التداعي بين المعاني في الذهن، فإن الضد يجلب إلى الذهن ضده.

والملاحظ أن آيات الذكر الحكيم اعتمدت على هذا اللون مقارنة بين الأنواع المتضادة، فالسياق القرآني يجمع بين حقيقة الإيمان والكفر، أو تصوير مآل المؤمنين وحياتهم وسلوكهم، وتصوير مآل الكافرين مثلًا وحياتهم وسلوكهم، أو علاقة التضاد بين مظاهر الكون عامة؛ الليل والنهار، والشمس والقمر إلخ،

---

[١])لسان العرب ١١/٥٤٠مادة قبل

[٢])الإيضاح ٢٥٩

وهذه السياقات تُعد وثيقة تعبيرية دقيقة تحدد وظيفة الطباق والمقابلة، ومدى تأثيرهما[١].

ومن التقابلات البارزة التي تضمنتها هذه السورة الكريمة، المقابلة بين أهل النعيم وأهل العذاب

قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ إلى قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [٢].

فقد بينت الآيات الفرق بين أهل النعيم؛ الذين تظهر على وجوههم آثار النعمة، والراحة، وضياء الإيمان، ويعلوها الرضا والاطمئنان لما وجدت، وبين أهل العذاب؛ الذين يظهر على وجوههم الذلة والانكسار؛ لما ترى مما أعده الله – سبحانه– من صنوف العذاب.

ويشير البقاعي للمقابلة بقوله: " ولما ذكر الأعداء وقدمهم لما تقدم، أتبعه الأولياء؛ فقال مستأنفًا ذكر مالهم من ضد ما ذكر للأعداء " [٣].

---

(١) / انظر: ألوان البديع في ضوء الطبائع الفنية والخصائص الوظيفية، د: محمد علي فرغلي الشافعي، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، (د. ط) ١٤١٩هـ، وانظر معه أيضا: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د: عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.

(٢) /سورة الغاشية آية ٧

(٣) / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر: برهن الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ط٢) ١٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ٢٢/ ٨.

أما ابن عاشور فقد نص على المقابلة وفصل فيها، فيقول: " وقد قوبلت صفات وجوه أهل النار بصفات وجوه أهل الجنة، فقوبلت صفات (خاشعة- عاملة-ناصبة) بصفات(ناعمة لسعيها راضية)، وقوبل قوله(تصلى نارًا حامية) بقوله في(جنة عالية)، وقوبل(تسقى من عين آنية) بقوله(فيها عين جارية)، وقوبل شقاء عيش أهل النار الذي أفاده قوله (ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع)، بمقاعد أهل الجنة المشعرة بترف العيش من شراب ومتاع " [١].

التقابل الإجمالي:

- رسمت لنا آيات القرآن الكريم مشهدًا حسيًا انبعث من التأثر النفسي، ألقى بظله على وجوههم؛ فأصبحت ناعمة مشرقة منعمة، وعلى تلك الوجوه فأصبحت ذليلة منكسرة، فتقابلت الوجوه، واختلف المصير، وانقسموا إلى قسمين، وفي هذه الوجوه وتلك ارتسم مصير هؤلاء وهؤلاء" [٢].

- ثم إن المقابلة ظهرت حاسمة بين الفريقين؛ فريق يعلوه عدم الرضا والذلة، فهو لم يرض بما قدم من عمل في دنياه، بل يزيده ما عمل كمدًا وحزنًا، ويشقى بما أعده الله –عز وجل- من العذاب الأليم والعقاب المقيم، إلى غير ذلك من ألوان العذاب، من النار الحامية التي يدخلونها ويقاسون حرها، فإذا ما أراد أن يطفئ لهيب العطش، أطفأه بماء متناهي الحرارة؛ يزيده عطشًا وألما وحسرة،

---

[١])التحرير والتنوير ٣٠٣/٣٠

[٢] / انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، بيروت –القاهرة (ط١١)١٤٠٥هـ، ٣٨٤٥/٦

ويكافأ بالطعام الذي يتجرعه بمرارة، وهو مضطر لأكله لسد جوعه، ولكن هيهات (ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع).

– بينما يظهر التمايز لأصحاب الوجوه الناعمة التي استحقت هذا النعيم السرمدي، والتكريم الذي سعوا لأجله، وجاءت صوره في أجمل الصور" ولا عجب في ذلك، فهم يعيشون في هناء ورغد العيش، وحياتهم تسير بهم كما يشتهون، وكلها يسر وسهولة، ورتابة وجمال، والجمال أيضًا يجدونه في النمارق المصفوفة الواحدة تلو الأخرى في صفوف ناعمة.. نعومة مشهد واتكاء، وليس هذا فحسب، بل إن نعومة المشهد تطول وتمتد لتشمل نعومة وجمال الزرابي المبثوثة المتناثرة، والمنشورة أمام كل صف من صفوف النمارق الناعمة، وإذا ما اجتمعت النمارق وجمال صفوفها، والزرابي وأناقة بثها، طاب الجلوس والاتكاء لأهل الجنة عليها، فيطيب لهم طيب الشراب والحديث، فيتسامرون وهم متكئون دون أن يلحقهم ملل، أو يساورهم كلل، ثم إن جمال النعيم لا يأتي عليه الحس، ولا يدركه الوصف، إلا بحدود ما يأتي عليه حسن ووصف أهل الدنيا؛ الذي لا يغادر حسهم ووصفهم له حدود هذه السماء وهذه الأرض، وهذا الإحساس لا يدركه إلا أهل الجنة؛ الذين هم في خضم الجمال والنعيم، لأنهم هم أصحاب المدارك التي تستوعب لذة الجمال والنعيم، ولذة الإكرام والتكريم " [١].

– إضافة إلى اختلاف عدد الألفاظ والآيات التي أخبرت عن حال كل فريق، حيث أُخبر عن أصحاب الوجوه الخاشعة بست آيات، وعن أصحاب الوجوه الناعمة بثمان آيات، ولعل ذلك يشير إلى عدم المساواة بين الفريقين،

[١])الجنة في القران لبكر عبد الحافظ الخليفات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ٤١٧

وهذا بيّن ظاهر لكل من يقرأه، وهو يظهر أيضًا تمام الفرق بين جزاء كل فريق، والله تعالى وحده أعلم.

- اعتمدت الآيات على صيغة الفاعل؛ الدالة على الثبوت والدوام، فأهل العذاب جاءت على النحو التالي: (خاشعة –ناصبة– حامية–آنية).

- بينما أهل النعيم جاءت صيغة الفاعل أكثر، وهي على النحو التالي: (ناعمة–راضية– عالية –لاغية– جارية)، وبصيغة المفعول (مرفوعة –موضوعة– مصفوفة–مبثوثة).

ثانيًا: السجع: " سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأَشبه بعضه بعضاً؛ قال ذوالرمة:

قَطَعْتُ بها أَرْضاً تَرَى وَجْه رَكْبها، إِذا ما عَلَوْها، مُكْفَأً غَيْرَ ساجِعِ

أَي جائراً غير قاصد. والسجع: الكلام المقَفَّى، والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ؛ وكلام مُسَجَّع. وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً: تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن، وصاحبُه سَجّاعةٌ، وهو من الاسْتِواءِ والاستقامةِ والاشتباهِ كأَن كل كلمة تشبه صاحبتها "[1]**وهو** توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد[2].

يقول عبد القاهر عن فضل ومزية الجناس والسجع: " لن تجد أيمن طائرًا، وأحسن أولًا وآخرًا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب إلى الاستحسان؛ من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس منها إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها "[3].

---

(١) /لسان العرب (س ج ع)

(٢))علم البديع لعبد العزيز عتيق ٢١٥

(٣)) أسرار البلاغة ١٠

ومن أمثلة السجع في السورة| قوله تعالى: (فيها سرر مرفوعة* وأكواب موضوعة) (ناعمة- راضية لاغية- جارية- مصفوفة-مبثوثة)

يلحظ مما سبق:

البون الشاسع بين صور العذاب وصور النعيم التي صورتها الآيات تصويرًا حسيًا، فأهل النار وجوههم ذليلة منكسرة، يعلوها الشقاء والتعب، بينما أهل الجنة وجوههم نضرة مسرورة؛ يظهر عليها أثر الاطمئنان والسكينة، والأمان والرضا، وأسند القرآن للوجوه الخشوع والنعومة؛ لأن الوجه غالبًا يظهر عليه أثر الارتياح والعافية، أو المرض والغم.

ومن صور العذاب الحسي: أن أهل النار يعملون فيها بجر السلاسل، أي أنهم في كد وعناء مستمر، وتعب دائم، وفي مقابل هذا العذاب يصور نعيم أهل الجنة وقد رضوا بعملهم في الدنيا، بل هيأ الله –سبحانه- لهم كل أنواع وملذات النعيم، فهم في الجنان العالية، ووصفها بالعالية لزيادة حسنها، وليكتمل نعيمهم، ويتتام لهم سرورهم، لا تجد فيها من منغصات الحياة شيئًا، وفيها مما يسر الناظر من العيون الجارية، والبسط الفاخرة، وفيها أيضًا ما يريح الجالس من السرر المرفوعة وغيرها من صور النعيم.

ومن صور العذاب الحسي؛ طعام أهل النار (ضريع) و شرابهم من عين (آنية)؛ أي متناهية في الحرارة، وهم مع ذلك لا يجدون بدًا من الأكل والشراب؛ محاولة لتخفيف ألم الجوع، وإطفاء لهيب العطش، بينما أصحاب الجنة منعمون مترفون؛ فالأكواب (موضوعة) ومعدة للشراب في أي وقت.

الخاتمة

١. تنوع الأساليب البلاغية ووجوه الإعجاز من جانب واحد في سورة واحدة.

٢. اختلاف المفسرين واتفاقهم في تحليل الآيات، ينبئ عن عقل واع لإدراك إعجاز القرآن، وأن معانيه تفوق معاني البشر، مهما بلغت دقتهم في التصوير والتعبير.

٣. الترهيب والتخويف في تناول جزاء وعذاب الكافرين، في مقابل الترغيب والحث أثناء تناول جزاء ونعيم المؤمنين.

٤. تنوع الصور البلاغية في آيات النعيم مقارنة بآيات العذاب.

٥. ما احتوت عليه السورة الكريمة من صور النعيم والعذاب؛ يدعو للتدبر والتأمل في معانيها.

٦. لا شك أن النفس عند تأمل صور النعيم والعذاب تذهب في تصور الأحوال كل مذهب، وفي هذا التأمل مجال رحب للتصور الإنساني للنعيم والعذاب الأخروي ليختار ما يريد من مصير.

والحمد لله خاتمة كل نعمة وفاتحة كل خير

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ ﴾	٧
﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾	١٦

المصادر والمراجع بعد كتاب الله عز وجل:

❖الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) . دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

❖إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، المتوفى عام ٩٨٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❖أساس البلاغة لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٢٤١٩هـ–١٩٩٨م

❖إعجاز القرآن للدكتور: فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط٢، ١٩٩٧م

❖التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) سماحة الاستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

❖تفسير جزء عم لمحمد عبده، مطبعة مصر، الجمعية الخيرية الإسلامية.

❖تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ت٧٢٥هـ، ضبطه: عبدالسلام محمد شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٥-

❖التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د محمد سيد طنطاوي، مطبعة دار السعادة الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٩٧م.

❖الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، – ١٤٢٠هـ.

❖جامع البيان عن تأوي آي القران للإمام الطبري، ط١، مؤسسة الرسالة

❖الجنة في القرآن بكر عبد الحافظ الخليفات، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

❖ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على البيضاوي، لأحمد بن محمد بن عمر؛ شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر –بيروت

❖ حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ط٣، من منشورات: محمد علي بيضون دار الكتب العلمية،، بيروت –لبنان، صححه وضبطه: محمد عبد القاهر شاهين

❖خصائص القرآن الكريم د. فهد الرومي ط٣ / ١٤٠٩ هـ الرياض، المملكة العربية السعودية.

❖صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبي قتيبة، دار طيبة ١٤٢٦-٢٠٠٦، ط١، دار طيبة، م١/٣٨٩/كتاب الجمعة.

❖ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان

❖علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظيفية للدكتور محمد إبراهيم شادي، دار اليقين، ط١، ١٤٣٢-٢٠١١.

❖في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق.

❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث، بيروت.

❖مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ت ٧١٠هـ، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨.

❖المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث

❖مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، هـ - ١٩٧٩م.

❖مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الثالثة – ١٤٢٠ هـ

❖المفردات في غريب القران للراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل العيتاني، دار المعرفة بيروت–لبنان.

❖مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، دار الكتب العلمية.

❖وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت الطبعة: ١٩٩٤م

❖نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الفيصلية

من الشبكة العنكبوتية: موقع طريق الإسلام.

الفهرس

الفهرس	
الملخص بالعربي	
الملخص بالإنجليزي	
المقدمة	
تمهيد	
المطلب الأول: طرائق النظم في آيات النعيم والعذاب أولًا/التقديم والتأخير ثانيًا/التنكير ثالثًا: أسلوب الاستفهام رابعًا: الروابط الخفية بين الجمل خامسًا: القصر	
المطلب الثاني: صور البيان في آيات النعيم والعذاب أولًا/المجاز العقلي ثانيًا/الكناية	
المطلب الثالث: ألوان البديع في آيات النعيم والعذاب أولًا / المقابلة ثانيًا/السجع	
الخاتمة	
فهرس الآيات القرآنية	
فهرس المصادر والمراجع	